مفهوم المثقف عند إدوارد سعيد

The Intellectual According to Edward Saeed

مروة عامر عبد الجبار

جامعة بغداد / كلية الاداب

المشرف: أ. د. حسين عبد الزهرة الشيخ

جامعة بغداد / كلية الاداب

Marwa Amer Abduljabbar
University of Baghdad / College of Arts

Prof. Dr. Hussein Abdulzahra Alsheikh
University of Baghdad / College of Arts

memeqw90@gmail.com

الملخص:
تناولنا في هذا البحث مفهوم المثقف عند واحد من ابرز الشخصيات الثقافية والفاعلة في النصف الثاني من القرن العشرين الا وهو المفكر العربي ادوارد سعيد الذي استطاع ان يكشف للمثقف حقيقة وظيفته والادوار المنوطة به تجاه مبادئه وشعبه وحتى العيوب التي تعيق عمله النقدي في تمثيل المهمشين واحراج السلطة ، ان المثقف عند سعيد شخص ملتزم وواع اجتماعيا ينزع للحقيقة مخلص لمبادئه مقاوم لكل اشكال الاستغلال فهو مطالب دوما بأحراج وفضح السلطة ، وهذا يتطلب منه ان يكون مثقف هاوي لا محترف ويجب ان لا يكون هدفه الربح والبحث عن المناصب والتماس العذر للسلطة بل ينبغي عليه ممارسة وظيفة النقد والاحتجاج فيما يخص قضايا شعبه وامته.**الكلمات المفتاحية: صور المثقف، المثقف والسلطة**

Abstract
In this study, we discussed the concept of the intellectual according to one of the most prominent and effective cultural figures in the second half of the twentieth century, the Arab thinker Edward Saeed. He was able to reveal to the intellectual the truth of their job and the roles assigned to them towards their principles and people, and even the defects that hinder their critical work in representing the marginalized and embarrassing the authorities. According to Saeed, the intellectual is a committed and socially conscious person who is inclined toward the truth, loyal to his principles, and resistant to all forms of exploitation. They are always required to embarrass and expose authority, and this requires them to be an educated amateur, not a professional. Their goal must not be profit, seeking positions or excuses for authority. Rather, they must exercise the function of criticism and protest regarding the issues of their people and nation.**Keywords:**Images of the Intellectual, The Intellectual and the Authority

المقدمة:

ان التطورات الحاصلة في الساحتين العالمية والعربية تستدعي الانشغال بدراسة مكانة ودور المثقف في المجتمع والذي من المفترض ان يكون حاضرا يقظا متطلعا لحياة وهموم هذا المجتمع، وان يكون صوت الامة والعين التي لا تغفو متصديا للمخاطر التي تواجه المجتمع بقوة فكره وكلمته الحرة.وفي هذا البحث والذي بعنوان (المثقف عند ادوارد سعيد) والذي تطرقت فيه الى المثقف عند سعيد والذي يقدم رؤيته لهذا المثقف والبيئة التي يعمل فيها وللدور المميز الذي يطمح القيام به وذلك من خلال استعراض المواقف المختلفة للمثقفين الذين سبقوه وهما (غرامشي وبندا) وبمدى تأثره بهم.وتطرقت ايضا في هذا البحث الى كيفية تقسيم المثقفين عند ادوارد سعيد حيث قسم المثقفين الى قسمين: المثقف المحترف او المتخصص والمثقف الهاوي. ويثني ادوارد سعيد على النوع الثاني من المثقفين حيث يعتبره مثقفا حقيقيا.ومن بين القضايا المهمة التي شغلت المفكر إدوارد سعيد قضية المثقف وعلاقته بالسلطة والتي تناولتها في البحث ايضا. فالمثقف الحقيقي من وجهة نظر سعيد لا بد من ان يكون قادر على مواجهة السلطة وقول الحق في وجهها مهما كلفه الامر وفي كل الظروف، ويرى سعيد ان المثقف الذي يصبح جزء من خطاب السلطة يبيع نفسه لها ويعبد آلهة تفشل دائما حسب قوله، لذلك لا بد للمثقف ان يكون دوره فاعلا قائلا للحق مهما كلفه الامر.

اولاً: صور المثقف عند ادوارد سعيد:يعد ادوارد سعيد من بين الاسماء الذائعة الصيت، واحد اساطين الثقافة المعاصرة، بحيث استطاع ان يشق طريقه وان يضع لنفسه منهجا نقديا متميزا فلم تكن تجربته النقدية هامشية على تخوم النقد العربي، لأنه لم يكن بمثابة باحث أكاديمي او كاتب مقالة فحسب، بل كان بمثابة متكلم باسم الشرق في الغرب ومنافح عن حق ابناء العالم الثالث في تمثيل أنفسهم وتشكيل هوياتهم الثقافية والوطنية، فوصف بأنه مثال جيد للحوار بوصفه مقيما بين الثقافات وعلى حدودها المشتركة (مداح، ٢٠١٨، ١٧١).في عام ١٩٩٢، قدم ادوارد سعيد سلسلة محاضرات القاها في اذاعة (BBC) البريطانية عن المثقف، ثم جمع هذه المحاضرات في كتاب أطلق عليه (تمثيلات المثقف)، حيث تمت ترجمته الى العربية ثلاث مرات بعناوين مختلفة وهي: صور المثقف، المثقف والسلطة، والالهة التي تفشل دائما. وتميز الكتاب بالشمولية في الحديث عند دور المثقف وشرح وظائفه.وينطلق ادوارد سعيد في تحديد مفهوم المثقف من خلال تأييده لصورتين متناقضتين احداهما صورة المثقف عند جوليان بندا، والثانية للمفكر انطونيو غرامشي.فالمفكر جوليان بندا نقلا عن ادوارد سعيد يعرف المثقفين باعتبارهم (عصبة ضئيلة من الملوك الفلاسفة من ذوي المواهب الفائقة والاخلاق الرفيعة الذين يشكلون ضمير البشرية) (سعيد، ٢٠٠٦، ٣٤ – ٣٥).ويعطي بندا امثلة عن هؤلاء المثقفين الذي وصفهم الحقيقيين مثل سقراط، يسوع المسيح، سبينوزا، فولتير، وارنست رينان. يشكل

هؤلاء طبقة العلماء البالغي الندرة حقاً، لأن ما ينادون به هو المعايير الخالدة للحق والعدل (سعيد، ٢٠٠٦، ٣٥). فالمثقفين الحقيقيين هم الذين – والقول لبندا – (لا يتمثل جوهر نشاطهم في محاولة تحقيق اهداف عملية، اي جمع الذين ينشدون المتعة في ممارسة احد الفنون او العلوم او التأملات الميتافيزيقية، وباختصار في الظفر بمزايا غير مادية، ومن ثم يستطيع كل منهم ان يقول: ان مملكتي لا تنتمي لهذه الدنيا) (سعيد، ٢٠١١، ٣٥ – ٣٦).يقول سعيد عن نفسه انه قريب من جوليان بندا إلى الحد الذي يعتبر فيه أن المثقف يجب ان يبحث عن الحقيقة والعدالة على حساب مصالحه الشخصية، وان يحيد عنها حين يرى ان المثقفين يتطورون داخل نوع من الفضاء الكوني، خارج كل حدود قومية، وكل هوية عرقية. لا يخطب المثقف من اعلى الجبل، بل ان صوته انفرادي متوحد وان حريته تكمن في صداه. لهذا السبب، لا يعتبر المثقف مسالماً ومهادنا، او من بناة الاجماع والوفاق، بل انه يلتزم باستمرار بحسه النقدي، ويرفض السهولة او مجاملة السلطة (كلفارون، ٢٠١٧، ٦٥ – ٦٦). فصورة المثقف الحقيقي التي رسمها بندا، والمتمثلة في رفضه لصورة المفكرين غير الملتزمين على الإطلاق ممن يعيشون في ابراج عاجيه، وميله الى صنف من المثقفين تدفعهم مبادئ العدل والحق، الى فضح الفساد، والدفاع عن الضعفاء، وتحدي السلطة المعيبة او الغاشمة، ونظرتهُ الى المثقف باعتباره شخصاً متفردا قادرا على ان يقول كلمة الحق في مواجهة السلطة شجاع الى درجة لا تعقل، هي الصورة التي قبلها سعيد. اما الجانب الذي لم يؤيده في تحليل بندا، فهو وصفه المثقفين بانهم عصبة ضئيلة من الملوك الفلاسفة من ذوي المواهب الفائقة والاخلاق الرفيعة الذي يشكلون ضمير البشرية. لما في هذا الوصف من بعد ميتافيزيقي (مزعل، ٢٠١٧، ٦٨).ان جوليان بندا في عمله (خيانة المثقفين) ينتقد المثقفين بسبب ظلالهم في القضايا السياسية للنزعة القومية ومعاداة السامية، كما هو الشأن اثناء قضية دريفوس، فان سعيد ايضا يحدد خيانة المثقفين في النزعة المحافظة النخبوية، التي تتوارى وراء المطالبة بالحياد والموضوعية، باسم الخبرات المتقدمة جدا. لا يتوقف سعيد، في الواقع، عن التنديد بفخ التخصص وعبادة الخبرات المهنية، التي تشكل قناع الخضوع لأيديولوجيا السلطة (كلفارون، ٢٠١٧، ٦٣ – ٦٤).ويميز بندا بين (الاكليريكيين) (رؤوس القيادة المسيحية او طبقة الكهنوت) و(سواد الناس). فعامة الناس هم رجال ونساء عمليون، انهم الجماهير، وهم واقعيون وماديون. وبالمقابل فالاكليريكييون مثقفون يلتمسون الادب او العلم، ولا يهتمون بالشؤون العملية، والدينية، والعالمية. كما لا يهمهم الحصول على اية منفعة مادية، فملكتهم ليست جزءاً من هذا العالم. والاكليريكييون مثاليون (هارت، ٢٠١١، ١٧٥).ان معيار مثقفي بندا، فيكمن استعدادهم لخوض مجازفة تعريض انفسهم للحرق او النبذ، او الصلب (هارت، ٢٠١١، ١٧٥).ويقصي سعيد نفسه عند بيندا نوعا ما عندما يدعي ان فكرة غرامشي عن المثقفين اكثر قربا من الواقع من اي شيء يعطيه لنا بيندا ولا سيما في اواخر القرن العشرين (هارت، ٢٠١١، ١٧٧).اما الصورة الاخرى التي تناولها إدوارد سعيد، فهي مثقف غرامشي الواقعي العضوي، ومثل جرامشي مصدر اساسي لفكر سعيد وذلك من خلال تحليلاته الدقيقة للمثقف، حيث ذهب جرامشي الى القول (ان كل الناس مثقفون، لكن ليس لهم كلهم ان يؤدوا وظيفة المثقفين في المجتمع) (سعيد، ١٩٩٤، ٢١).ويعمل ادوارد سعيد على تحديد انماط المثقفين من خلال عرض التصور للمفكر الايطالي غرامشي، حيث يقول سعيد: (يحاول غرامشي ان يبين ان الذين يقومون بوظيفة المثقف او المفكر في المجتمع يمكن تقسيمهم الى نوعين: الاول يضم المثقفين التقليديين مثل المعلمين، ورجال الدين، والاداريين، ممن يواصلون اداء العمل نفسه من جيل الى جيل، ويشمل الثاني المثقفين العضويين، الذين اعتبرهم غرامشي مرتبطين على نحو مباشر بطبقات او بمؤسسات تجارية تستخدم المثقفين لتنظيم المصالح واكتساب المزيد من القوة، وزيادة السيطرة) (سعيد، ١٩٩٤، ٢٢). ويقول غرامشي عن المثقف العضوي– نقلا عن سعيد: ان منظم العمل الرأسمالي يأتي الى جانبه الفني الصناعي، والمتخصص في الاقتصاد السياسي وبمن يتولون تنظيم ثقافة جديدة، ووضع نظام قانوني جديد (سعيد، ٢٠٠٦، ٣٤). وبعبارة اخرى، ان المثقف العضوي هو الذي ينتمي الى شريحة او شرائح المثقفين الذي يزودون طبقة اجتماعية معينة بتجانسها وبوعي وظيفتها الخاصة، لا في المضمار الاقتصادي فحسب، وانما في المضمار السياسي والاجتماعي ايضاً (البطاط، ٢٠١٤، ٣٥).ويقدم سعيد امثلة لهذا المثقف العضوي، حيث يعتبر (خبير الاعلانات او خبير العلاقات العامة، الذي يستنبط اساليب تضمن لمسحوق غسيل او شركة طيران حصة اكبر من السوق، مثقفا عضويا. فهو انسان يحاول، في مجتمع ديمقراطي، كسب موافقة الزبائن المحتملين، ونيل الاستحسان، وتوجيه راي المستهلك او الناخب) (سعيد، ١٩٩٤، ٢٢). وعلى هذا الاساس، فالمثقفون العضويين يشاركون في المجتمع بنشاط، اي انهم يناضلون باستمرار لتغيير الآراء وتوسيع الاسواق. فالمثقفون العضويون هم دائمو التنقل، دائمو التشكل، على عكس المعلمين والكهنة، الذين يبدون وكأنهم باقون في اماكنهم، يؤدون نوع العمل ذاته عاماً بعد عام (سعيد، ١٩٩٤، ٢٢).يرى سعيد (ان التحليل الاجتماعي الذي يقدمه غرامشي للمثقف باعتباره شخصا يؤدي مجموعة محددة من الوظائف في المجتمع فهو اقرب الى الواقع من اي شيء يقدمه بندا لنا، خصوصا في اخر القرن العشرين، حيث نشهد مهناً جديدة كثيرة تؤكد صحة رؤية غرامشي،

مثل العاملين بالإذاعة، والمهنيين الاكاديميين، ومحللي الكمبيوتر، والمحامين العاملين في مجال الرياضة البدنية واجهزة الاعلام ومستشاري الإدارة، وخبراء السياسيات، والمستشارين الحكوميين، ومؤلفي تقارير السوق المتخصصة، بل ومجال الصحافة الجماهيرية الحديثة برمته (سعيد، ٢٠٠٦، ٤٠). لذلك يعتبر سعيد (كل من يعمل في اي مجال يتصل بإنتاج المعرفة او نشرها مثقفا بالمعنى الذي حدده غرامشي، والملاحظ ان النسبة في معظم البلدان الصناعية الغربية بين ما يسمى بصناعات المعرفة (او صناعات المعلومات) والصناعات المتعلقة بالإنتاج المادي نفسه قد تغيرت وازدادت بصورة حادة لصالح صناعات المعرفة) (سعيد، ٢٠٠٦، ٤٠).ويستشهد ادوارد سعيد بقول عالم الاجتماع الامريكي الفين غولدنر[*] حيث قال قبل بضع سنوات عن المثقفين: (انهم الطبقة الجديدة، وان المديرين المثقفين حلوا الان تقريبا محل الطبقات القديمة ذات الاموال والممتلكات. لكن غولدنر قال ايضا ان احدى النتائج الجانبية لصعود المثقفين هي توقفهم عن كونهم اشخاصا يخاطبون جمهورا عريضا، ليصبحوا عوض ذلك اعضاء تلك التي دعاها ثقافة الخطاب النقدي) (سعيد، ١٩٩٤، ٢٦).ومعنى ذلك حسب سعيد: (كل مثقف، كل محرر كتاب، ومؤلف ومخطط عسكري، ومحام يعمل على نطاق دولي، يتكلم ويتعامل بلغة متخصصة ويستعملها الاعضاء الاخرون في الميدان ذاته، اي ان الخبراء المتخصصين يخاطبون الخبراء المتخصصين الاخرين بلغة مشتركة لا يفهمها في معظمها الاشخاص غير المتخصصين) (سعيد، ١٩٩٤، ٢٦). وينظر سعيد للمثقف والى مدى تأثيره في المجتمع المحيط به على انه: (ان المثقف وهب ملكة عقلية لتوضيح رسالة، او وجهة نظر، او موقف، او فلسفة، او راي، وتبيان هذه الالفاظ للجمهور) ويجابه المعتقد التقليدي والتصلب العقائدي (بدل ان ينتجهما)، ويكون شخصا ليس من السهل على الحكومات او الشركات استيعابه) (سعيد، ١٩٩٤، ٢٨). انه بالتأكيد مثقف عملي، مثل مثقف جرامشي الذي يهتم بشؤون المجتمع ويسعى لتغيير الواقع. وبالتالي تكمن الفاعلية الاساسية للمثقف في تمثيله كل فئات الناس انطلاقا من مبدا انه من حق جميع البشر ان يتوفر لهم سلوكيات لائقة بهم، وان اي انتهاك لهذه المعايير السلوكية لا يمكن السكوت عليه، بل لابد من اشهاره ومحاربته بشجاعة (سعيد، ٢٠٠٦، ٤٤).ان وجهة نظر سعيد المتعلقة بمسؤولية المثقف هي: مواجهة الكاذبين الاقوياء بالحقيقة، وعرض اكاذيبهم للتمحيص العام. وهذا بالتأكيد عمل يتسم بالمخاطرة، الا انه مسؤولية المثقف مهما يكن، يسعى مثقف سعيد الى تحطيم التنميطات والمقولات الاختزالية التي تقيد الفكر والاتصال (هارت، ٢٠١١، ١٧٤). يقول سعيد ان المثقف بحسب مفهومي للكلمة، (لا هو عنصر تهدئه ولا هو خالق اجماع، وانما انسان يراهن بكينونته كلها على حس نقدي، على الاحساس بأنه على غير استعداد للقبول بالصيغ السهلة، او الافكار المبتذلة الجاهزة، او التأكيدات المتملقة والدائمة المجاملة لما يريد الاقوياء قوله، ولما يفعلونه. ويجب الا يكون عدم الاستعداد هذا مجرد رفض مستتر هامد، بل ان يكون رغبة تلقائية نشطة في الافصاح عن ذلك علناً (سعيد، ١٩٩٤، ٣٧). وفقا لذلك يختصر ادوارد سعيد ماهية المثقف في كونه (الشخص الملتزم والواعي اجتماعيا بحيث يكون بمقدوره رؤية المجتمع والوقوف على مشاكلة وخصائصه وملامحه وما يتبع ذلك من دور اجتماعي فاعل من المفروض ان يقوم بتصحيح مسارات مجتمعية خاطئة) (سعيد، ٢٠١١، ٣٧). وجوهر مفهوم المثقف عند سعيد يكمن في انه (ليس داعية مسالمة ولا داعية اتفاق في الآراء، لكنه شخص يخاطر بكيانه كله باتخاذ موقفه الحساس، وهو موقف الاصرار على رفض الصيغ السهلة، والاقوال الجاهزة المبتذلة، لما يقوله ويفعله اصحاب السلطة، ولا يقتصر رفض المثقف او المفكر على الرفض السلبي، بل يتضمن الاستعداد للإعلان عن رفضه على الملأ) (سعيد، ٢٠٠٦، ٥٩).وكعادته يضرب ادوارد لقرائه مثلاً بنفسه، قائلا، انه لما عرضت عليه وسائل الاعلام المختلفة، مرات عديدة، انه يعمل مستشارا بأجر، رفض فعل ذلك، ببساطة لان ذلك يعني ان يكون حبيسا لمحطة تلفزيونية واحدة، او مجلة بعينها ومحكوما ايضا باللغة السياسية الجارية ومنظومة المفاهيم الخاصة بهذه المؤسسة (سعيد خالد، ٢٠٠١، ١٣٥).هذا يعني ان مهمة المثقف والمفكر تتطلب اليقظة والانتباه على الدوام، ورفض الانسياق وراء انصاف الحقائق او الافكار الشائعة باستمرار ومن شأن هذا ان يستلزم واقعية مطردة ثابته، ويستلزم طاقة عقلانية فائقة، وكفاحا معقدا للحافظ على التوزان بين مشكلات الذات عند الفرد ومتطلبات النشر والافصاح عن الراي علنا وذلك هو الذي يجعل منه جهدا دائبا متواصلا، ولا يكتمل قط، ولا بد ان تعيبه عيوب. ولكنني ارى ان العوامل التي تهبه القوة، وتعقيداته ايضا، تزيد المرء ثراء نفسيا وذهنيا، حتى ان لم تجعله يحظى بالحب الجم من عامة الناس (سعيد، ٢٠٠٦، ٥٩).ولقد ميز سعيد بين نوعين من المثقفين وهما: المثقف المحترف والمثقف الهاوي. وذلك لتأثره بالفيلسوف انطونيو جرامشي، والذي ميز ما بين المثقف العضوي والمثقف التقليدي.

أ–**المثقف المحترف**: ان الخطر الذي يتهدد المثقف اليوم، يتمثل في موقف يطلق عليه ادوارد سعيد صفة (الاحتراف المهني)، والمقصود بالاحتراف المهني هو: (ان تنظر الى عملك الثقافي باعتباره شيئا تؤديه لكسب الرزق، وعدم الانفلات خارج النماذج او الحدود المقبولة، وان تجعل نفسك قابلا للتسويق وقبل كل شيء لائق المظهر، ومن ثم يصبح لا خلاف عليك، وتصبح غير سياسي، بل تصبح موضوعيا) (سعيد،

٢٠٠٦، ١٣٠).ويذهب سعيد الى ان المثقف المحترف هو مثقف صنائعي يجيد صنعته باحترافية بالغة وبلغة أكثر تخصصا ودقة وهو اذ يفعل ذلك فانه يستسلم للممارسة الطقسية لمؤسسة عمله وفق التصور المنضبط والرطانة المعهودة لتخلق منه في الاخير خبيرا معترفا به في حقل تخصصه وتمده بخبرة الأكاديمي المختص بسلطة قابلة للتداول والتسليع (كعبش، ٢٠١٧، ٥٩٠).

ويحدد سعيد اربعة ضغوط تثقل كاهل المثقف والتي يعتقد انها تمثل التحدي الحقيقي لبراعة المثقف او المفكر وارادته هذه الضغوط هي:

١. التخصص: يقول سعيد: (كلما ارتقى المرء في مدارج النظام التعليمي اليوم، ازداد انحصاره في النطاق الضيق نسبيا لمجال من مجالات المعرفة) (سعيد، ٢٠٠٦، ١٣٤).ان من مساوئ التخصص، انه يؤدي الى زيادة تطبيق المنهج الشكلي التقني، والى تناقض مستمر في الاحساس التاريخي بالتجارب والخبرات الحقيقية التي ادت الى صياغة العمل الادبي (سعيد، ٢٠٠٦، ١٣٤).والتخصص معناه ان يغيب عن البال ذاك الجهد الاولي لبناء الفن او المعرفة، ونتيجة لذلك لا تتمكن منه رؤية المعرفة والفن من منطلق ان كلا منهما خيار وقرار، التزام وانحياز، وانما تنظر اليه فقط على اساس انه نظرية ومنهجية مجردة، ويعني كونك اختصاصيا في الادب– مثلا– ان توصد الباب في وجه التاريخ، او الموسيقى، او السياسة (سعيد، ١٩٩٤، ٨٣).وهكذا، حين تصبح مثقفا تخصصت كل التخصص في الادب، فقد غدوت اليفا مستأنسا تتقبل كل ما يسمح به الكبار المزعومون في هذا المجال والتخصص ايضا يقتل الاحساس بالأثارة والاكتشاف، وهما عاملان يدخلان في تكوين كل مفكر ومن المحال اختزالهما او التقليل من شأنهما (سعيد، ٢٠٠٦، ١٣٤). وفي نهاية المطاف يمسى التخصص عند سعيد وحسبما يشعر على انه (كسلا بحيث تنتهي الى اداء ما يأمرك به الاخرون، لان هذا هو تخصصك على اية حال) (سعيد، ٢٠٠٦، ١٣٥).

٢. الضغط المتمثل بالخبرة وعبادة الخبراء من حملة الشهادات فانه يقوم على اصطلاح (اللياقة الاجتماعية) او (الصحة السياسية)، وهذا تعبير خبيث يطلق على الأكاديميين اصحاب الفلسفة الانسانية الدنيوية الذين يقال مرارا، لا يتميزون بالاستقلال الفكري بل يخضعون تفكيرهم للمعايير التي رسختها عصبة سرية يسارية، وهي المعايير التي يفترض انها تتميز بالحساسية السافرة ضد العنصرية، او التعصب لاحد الجنسين، وما شابه ذلك، بدلا من السماح للناس بأن يناقشوا ما يريدون بحرية او بانفتاح مفترض (سعيد، ٢٠٠٦، ١٣٥). وهذا معناه يطلب من الاكاديميين ان لا ينحازوا الى اي موقف وان لا يبدون اي راي بدعوى انهم ليس لديهم خبرة، ويضرب سعيد مثالا على ذلك، يحمل خبراء السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية حملة شعواء على (نعوم تشومسكي) (*) يحاولون بها منعه من الكلام، على اساس افتقاره الى الشهادة بأنه خبير في السياسة الخارجية، فهو عالم اللغويات وعليه الالتزام بحقله (سعيد، ١٩٩٤، ٨٦).

3. الضرب الثالث من ضغوط الاحتراف المهني فهو حتمية انجذاب هؤلاء المحترفين الى الحكام واصحاب السلطة، والاندفاع لتحقيق الشروط التي تتطلبها السلطة والتمتع بما فيها من مزايا، ومحاولتهم الدائبة للعمل فيها (سعيد، ٢٠٠٦، ١٣٨).

4. ان اخر الضغوط هي التي تقع على المثقف من قبل جمهوره، فان لكل مثقف او مفكر جمهورا وقاعدة فكل مثقف يسعى ويطمح ان يكون له جمهور، وبالتالي فعلية ان لا يرضي ذلك الجمهور باعتباره زبونا وعليه ان يعارضه احيانا انتصارا للحق والمعرفة والحرية (سعيد، ٢٠٠٦، ١٣٤).وهكذا فان المشكلة التي يواجهها المثقف او المفكر هي ان يحاول التعامل مع ما يصطدم به من طابع الاحتراف المهني، لا ان يتظاهر بأنها غير قائمة او ان ينكر تأثيرها، بل ان يمثل مجموعة مختلفة من القيم والمزايا. وسوف اطلق على هذه المجموعة اسما عاما هو (روح الهواية)، ومعناها حرفيا ذلك النشاط المدفوع بنزعة الحرص والحب لا بالربح والتخصص الاناني الضيق (سعيد، ٢٠٠٦، ١٤٢).**ب. المثقف الهاوي:** يقترح سعيد بديلا عن المثقف المحترف وهو المثقف الهاوي، كوسيلة لكي يحافظ المثقف على استقلال فكري نسبي (سعيد، ١٩٩٤، ٩٢). ويقصد سعيد بالهواية: (الرغبة في الا يكون الربح او المكافأة الباعث الوحيد على النشاط الفكري، بل ان يكون الدافع هو الشغف، والاهتمام الذي لا يفتر، بالوضع الاشمل، وبإقامة صلات عبر الحدود والحواجز، برفض التقيد الحصري باختصاص معين، وبالحرص على الافكار والقيم برغم القيود التي تفرضها المهنة) (سعيد، ١٩٩٤، ٩٢).والهواية هي التي تجعل من المثقف ان يكون (عضوا عاقلا ومعنيا في مجتمع ما يخوله اثارة قضايا اخلاقية، حتى في صميم أكثر النشاطات تقنية واحترافية، لأنها تتعلق ببلاده، وقوتها واسلوب تفاعلها مع مواطنيها وايضا مع مجتمعات اخرى (سعيد، ١٩٩٤، ٨٨).فالهاوي بالنسبة لإدوارد سعيد، فرد يتمتع بموهبة خاصة تمكنه من حمل رسالة ما او تجسيد وجهة نظر وتمثيلها باسم المجتمع (سعيد، ٢٠٠٦، ٤٣).وان مصطلح (المثقف الهاوي) لا يحيل في هذا الصدد على طابع الهواية السطحية، بل على رفض الانغلاق في التخصصات الضيقة جدا، التي تمنع المثقف من الحديث الى العالم الذي يمارس عليه النقد. يتعين على الناقد ان يكون هاويا بالمعنى الذي لا يكون فيه متخصصا، وان يمارس فنه بدافع من السرور والرضا (كلفارون، ٢٠١٧، ٦٤)ان تعبير المثقف الهاوي من وجهة نظر سعيد هو (قرين الحرية، الذي يجعل المثقف يكتب في الموضوع الذي يميل اليه، ويترك له مساحات مختلفة

على حدود اقاليم المعرفة المختلفة، يرفض الاختصاص الضيق، وايضا هو الذي يتعلم، ويصر على متابعة تعليمة، منفتحاً على اسئلة الدنيا التي لا يمكن استنفادها) (سعيد، ٢٠١٤، ١٣ – ١٤). على المثقف او المفكر اليوم ان يصبح من الهواة، اي ان عليه ان يعتبر ان انتماءه الى مجتمع من المجتمعات، بصفته فردا ويهتم بما يهم المجتمع، يمنحه الحق في اثارة القضايا الاخلاقية التي تنشأ حتى في صلب اشتغاله بأشد المسائل التقنية الخاصة بالمهنة التي يحترفها، مادامت تمس بلده، وقوته، واسلوبه في التعامل مع المواطنين فيه وفي المجتمعات الأخرى (سعيد، ٢٠٠٦، ١٤٢). ولذلك يدعو ادوارد سعيد المثقف الى (اتخاذ موقف الهواة لا المحترفين) (سعيد، ٢٠٠٦، ١٤٩)، والى تحول المثقف الى شخص هاو في حقل الثقافة لا تجتذبه اغراءات السلطة السياسية والشركات الكبرى التي تدعوه للعمل لمصلحتها ورهن نتائج عملة برغباتها واهدافها التي تمثل اضرارا كبيرة تلحق وبالأفراد او بمجموعة معينة من البشر (مزعل، ٢٠١٧، ٥٦ – ٥٧).لذلك تعمل الهواية على اقصاء نزعة الربح، ويضرب سعيد امثلة بنفسه، حيث كان يرفض ان يتقاضى اجرا لقاء عمله، لا لشيء الا لأنه كان يعني ان يقتصر على محطة تلفزيونية واحدة او مجلة متخصصة واحدة، وان يقتصر على اللغة السياسية المستخدمة في تلك المحطة او المجلة، وعلى الإطار الفكري لهذه او تلك (سعيد، ٢٠٠٦، ١٤٩).فشرط الهواية هو المسافة التي يتخذها المثقف ازاء السلطة وازاء التخصص، وهي التي تتيح للمثقف نسبة من الاستقلال الفكري يبصره بأدواره، كالتمرد والشجاعة والقبول بالمخاطرة والزهد فيما هو عائق عن قول الحقيقة (كعبش، ٢٠١٧، ٥٩٣). ان ما يريد سيعيد من المثقف ان يكون ناقدا مستقلا عن السلطة، لا يبيع معرفته وخبرته لاحد، ولا يسلع مهاراته وفق قانون السوق، وانما تكون مهمته تفكيك خطابات السلطة ومواجهتها، والتدخل في كل الشؤون التي تديرها او تعد نفسها مسؤولة عنها (مزعل، ٢٠١٧، ٥٨). وهكذا يبدو واضحا ان سعيد يمثل المثقف الهاوي، غير مقيد بتخصص معين والذي يكتب ويتكلم عن قضايا خارج عمله المهني، لأنها قضايا وافكار تنسجم مع قيمه ومبادئه التي يؤمن بها، وبالرغم من تخصصه الاكاديمي بالأدب الانكليزي الا انه رفض ان يتقوقع في هذه البيئة الاكاديمية حيث نجده مدافعا عن القضية الفلسطينية ومتكلم باسم الشعب الفلسطيني في الغرب المعادي لحقوق الفلسطينيين ولأبناء العالم الثالث على حد سواء، فهو مثقف مستقل يقول الحقيقة بوجه السلطة سواء كانت هذه السلطة سياسية او فكرية، وهذا ما جعله مثالا للمثقف الهاوي بالمعنى الذي يقصده.

ثانيا: المثقف والسلطة عند ادوارد سعيد:ان قول الحقيقة بوجه السلطة هو العنوان الذي اختاره سعيد في الفصل الخامس من كتابه (المثقف والسلطة)، والذي جاء فيه: (ان المثقف ليس موظفا او عاملا يكرس جهوده كلها لتحقيق اهداف السياسات التي تضعها الحكومة او الشركات الكبرى او حتى النقابة التي تضم مهنيين يفكرون بالأسلوب نفسه) (سعيد، ٢٠٠٦، ١٤٨). وفي ذلك دعوة صريحة للمثقف بأن يتخذ موقعا بعيدا عن دوائر السلطة، لكي يضمن لنفسه قدرا معقولاً من استقلالية الموقف والقرار، ذلك ان ما تقدمه السلطة من مكافات واغراءات تجعل المثقف امام مفترق طرق حاد، فما ان يعمل وفق هوى السلطة لينال من عطائها، وفي هذه الحالة عليه ان يدفع الثمن من استقلاليته وموقفه وضميره، وكذلك من روحه النقدية، واما ان يختار اتجاهاً معاكساً يبتعد به عن دوائر السلطة، ليعتصم بحرية مواقفه واستقلال قراراته وسيادته على نفسه، وعليه في هذه الحال ان يدفع الثمن، حرمانا من الحوافز وتضييقا، وليس له عندها الا ان يتسلح بما يكفي من الشجاعة، كي يواجه الوانا مختلفة من الضغوط والاكراهات (كشت، بلا سنة طبع، ٢١٩). ان الفكرة الاساسية التي يحاول سعيد ابرازها وهي (ضرورة استقلال كل مثقف (ايا كان تعريفنا له) عن السلطة بمعنى عدم الارتباط بقيود تحد من تفكيره او توجيه مسار افكاره مهما تكن هذه الافكار، ان سعيد يؤكد ضرورة استمساك المثقف بقيم عليا مثل الحرية والعدالة، له ولغيره، وعدم قبوله الحلول الوسط فيما يتعلق بهذه القيم) (سعيد، ٢٠٠٦، ١١).ويقع على المثقف عبء تمثيل العامة في مقاومة اشكال السلطة جميعا، لا يدفعه الا ما يؤمن به من قيم ومبادئ انسانية عامة، لا حزبية ضيقة، او فئوية متعصبة، او مذهبية متجمدة، على ان ينهض في هذا كله بدور الهاوي لا المحترف، اي الذي يصدر في افعاله عن حب لما يفعل لا من يخدم غيره، او يعبد اربابا زائفة سرعان ما يخذل عبادها (سعيد، ٢٠٠٦، ١١ – ١٢).حيث يقول سعيد في هذا الصدد (انا ضد الاهتداء والايمان برب سياسي من اي نوع، واعتبر انهما سلوك غير صالح للمثقف) (سعيد، ٢٠٠٣، ١٢٦). بالمقابل، يتعين دوما على المثقف ان يحرص على استقلاليته ازاء السلطة، التي لن يكون بمقدوره المشاركة فيهما دون ان يعرض نفسه للخطر، ان الكاتب الفرنسي اندري مالرو، في نظر سعيد، توقف على ان يكون مثقفا حين قبل ان يصبح وزيرا للثقافة في عهد شارك ديغول (كلفارون، ٢٠١٧، ٦٦). ان مثقف سعيد مطالب بالإخلاص لمبادئه والتمسك بالمنهج والوفاء للحقيقة والتصدي لواقع الظلم والشقاء السلطوي ومقاومة كل اشكال التعصب والعنف واللاتسامح فمهمته ليست في التجافي عن جمهوره، بل بالانشقاق على السلطة عبر المقاومة المنظمة والنقد البناء بعيدا عن الشوفينية والشعبوية، بالإشهار للبديل بطريقة عقلانية ممنهجة تفضي في الاخير الى تجميع كل الطاقات لقلب السلطة واعادة تشكيلها (كعبش،

٢٠١٧، ٥٩٤).فلابد للمثقف ان يتحدى السلطة وان لا يكون خائنا لبلده، يوضح سعيد هذه الفكرة بقوله: (فالمفكرون الحقيقيون اقرب ما يكونون الى الصدق مع انفسهم حيث تدفعهم المشاعر الميتافيزيقية الجياشة والمبادئ السامية، اي مبادئ العدل والحق الى فضح الفساد، والدفاع عن الضعفاء، وتحدي السلطة المعيبة الغاشمة) (سعيد، ٢٠٠٦، ٣٦). فعمل المثقف يقتضي اذن تقفي اثار الظلم السلطوي في مضانه المختلفة ومتابعة تطبيقات هذه القوة والظلم في شتى المجالات من السياسة الى الاقتصاد الى التربية وطرق توظيف المقدس والتوزيع المجحف للثروة وتبذير الفرص مرورا بتعرية الشعارات الفضفاضة والاحلام الزائفة التي تخفي تحتها واقع البؤس المرير، كل ذلك يجعل منه ناقدا حضوريا تشكل وظيفته عملاً يوميا او دنيويا لاقداسة له الا فيما يتعامل معه على انه مؤنسن ومتحرر من العناية الالهية التي تجد لدى حفنه من المتخصصين مواضيع تبريرها للظروف الاجتماعية القاسية حفاظا على موقعهم من السلطة وموقع السلطة منهم (كعبش، ٢٠١٧، ٥٩٤ – ٥٩٥). وتبعا لذلك، فان من المهام المنوطة بالمثقف او المفكر ان يحاول تحطيم قوالب الانماط الثابتة والتعميمات الاختزالية التي تفرض قيوداً شديدة على الفكر الانساني وعلى التواصل ما بين البشر (سعيد، ٢٠٠٦، ١٩). وعلى هذا الاساس، يتحتم على المثقفين ان يكونوا اولئك الذين يحتجون على النعرة القومية في الوطنية والتفكير المؤسساتي، والشعور بالامتياز الطبقي، او العرقي او الجنسي (سعيد، ١٩٩٤، ١٥).لذلك يكون النقد مهم بالنسبة لسعيد لان النقد هو مفتاح التشغيل للمثقف المهتم، فالنقد يضع المثقف في العالم، اذ ان العمل الجوهري هو ليس ان يقدم (لاهوتيات) اختصاصية معقدة بل انه يتحدث بالحقيقة الى السلطة (اشكروفت واهلواليا، ٢٠٠٢، ٥٦) على الرغم من تكاثر الرطانة الليبرالية عن المساواة والعدالة، فان الظلم مستمر في مختلف ارجاء العالم. ان مهمة المثقف ان يطبق تلك الافكار ويؤدي بها الى ان تكون (مثمرة في مواقف حقيقية). وهذا يعني ان يتخذ موقفا ضد حكومته، كما فعل سعيد في حرب الخليج (اشكروفت واهلواليا، ٢٠٠٢، ٥٦)فالمثقف بناء على هذا التصور (شامخ شموخ الجبال، لما يحمله بين جوانحه من افكار كبرى وقيم عظيمة لا تتغير مع تغير المواسم ولا تتأثر بالاجتهادات الموسمية. يندفع المثقف، المسلح بعلمة وشفافيته وعقلانيته، للدفاع عن الامة والوطن خاصة في اوقات المحن والضياع والانكسار المعنوي والحضاري، ويجعل من الاستقلال الوطني والمحافظة على اصالة الثقافة الوطنية قضيته الاولى في ظل زمن تسوده العولمة (سعيد، ٢٠١١، ٣٧).لذلك يجب على المثقف ان يتخذ موقف مهم يحدده سعيد بقولة (ان أحد النشاطات الفكرية الرئيسية في القرن العشرين هو استجواب السلطة، ان لم يكن تقويضها) (سعيد، ١٩٩٤، ٩٦).على هذا الاساس ابد من مواجهة السلطة وقول الحق بوجهها فحسب سعيد لابد ان يبقى المثقف معارضا وناقدا للسلطة مهما كان الثمن يقول سعيد في هذا الصدد: (ان دور المثقف هو ان يعارض، وانا أفكر بهذا على انه دور نحتاجه بشكل قطعي. انا لا اقصد ان يتم ذلك بطريقة سخيفة وسلبية... فأنا أقف ضد ذلك ولكنني عندما اكون معارضا فأن بوسعي ان أمحص وان احكم وان انتقد، وان اختار على نحو يجعل من الاختيار والمداخلة امرين يعودان الى الفرد) (سعيد، ٢٠٠٧، ٩٤). ويتأكد لنا ذلك من خلال تأملنا في سيرة ادوارد سعيد من انه كان مقاوم لكل نفس استبدادي ومعارض شرس، فبخصوص القضية الفلسطينية كان معارض لعدة اتفاقيات ومنها (اتفاقية اوسلو) (*) الذي يعتقد سعيد بان هذه الاتفاقية (انها اختراق تاريخي ذو ابعاد هائلة ولكنها بالنسبة الى فلسطين اساسا_ اداة للاستسلام) (سعيد، ١٩٩٨، ٩٥). وفي ذات السياق يؤكد سعيد على ان هذه الاتفاقية (استسلام وليست سلام) (سعيد، ١٩٩٨، ٩٢).لذلك على المثقف الحقيقي ان يحافظ على استقلاليته وان لا ينتمي لأي حزب وان يقول الحق بوجه السلطة مهما كلف الامر.وفي الختام يمكننا ان نقول ان الدور الذي اعطاه سعيد للمثقف قد يبدو مثاليا للوهلة الاولى، الا انه يؤكد عكس ذلك: (ليس قول الحقيقة للسلطة ضربا من المثالية الخيالية، بل انه يعني اجراء موازنة دقيقة بين جميع البدائل المتاحة، واختيار البديل الصحيح، ثم تقديمه بذكاء في المكان الذي يكون من الارجح فيه ان يعود بأكثر فائدة وان يحدث التغيير الصائب) (سعيد، ٢٠٠٦، ١٦٩).

الخاتمة

١. تتمتع شخصية المثقف عند ادوارد سعيد بالتفكير الحر والصوت القوي في قول الحق وان يكون شخصاً مستقبل.

٢. تأثر ادوارد سعيد بالمفكر الايطالي انطونيو غرامشي في مفهومه للمثقف وتقسيمه له كما تأثر بجوليان بندا في طرحه لمفهوم المثقف، ان هذان الرأيان يتسمان بالتعارض، حيث يرى سعيد ان الصورة التي رسمها بندا للمثقف صورة خلابة، بينما التحليل الذي قدمه غرامشي يعد أقرب للواقع من تحليل بندا للمثقف.

٣. ان دور المثقف عند سعيد يكمن في قوله للحقيقة بصورة واضحة ومباشرة قدر الامكان، وينبغي على المثقف ان لا يهتم بان قوله سيغضب السلطة او لا ففي نظر سعيد ان قول الحق في وجه السلطة يدل على الالتزام الاخلاقي الذي يجب على المثقف ان يتخذه.

٤. يقسم سعيد المثقف إلى المثقف المحترف او المتخصص والمثقف الهاوي، فالمثقف المحترف يكون مجاله مغلق وافقه ضيق معتمدا على الربح يمتثل الى السلطات القائمة ويرضخ لضغوطاتها، اما المثقف الهاوي فيكون ناقدا شغوفا مستعدا لمواجهة السلطات فهو المثقف الذي يرفض تجزئة المعارف مناديا بالحوار ، وهذا النوع من المثقفين يؤيده ادوارد سعيد.

قائمة المصادر والمراجع

- اشكروفت، بيل واهلواليا، بال: ادوارد سعيد مفارقة الهوية، ترجمة: سهيل نجم، دار الكتاب العربي، دمشق، ط ١، ٢٠٠٢.
- البطاط، محمد هاشم رحمة: البعد السياسي للاستشراف في فكر ادوارد سعيد، اشراف: سناء كاظم كاطع، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، فرع الفكر السياسي، ٢٠١٤.
- سعيد، ادوارد: الاسلام والغرب، دار كنعان، ط١، ٢٠١٤.
- سعيد، ادوارد: الالهة التي تفشل دائما، ترجمة: حسام الدين خضور، دار التكوين، بيروت – لبنان، بلا. ط، ٢٠٠٣.
- سعيد، ادوارد: الثقافة والمقاومة، ترجمة: علاء الدين ابو زينة، دار الاداب، ط١، ٢٠٠٧.
- سعيد، ادوارد: القلم والسيف: ترجمة: توفيق الاسدي، دار كنعان، دمشق، ط١، ١٩٩٨.
- سعيد، ادوارد: المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، بلا. ط، ٢٠٠٦.
- سعيد، ادوارد: خيانة المثقفين – النصوص الاخيرة، ترجمة اسعد الحسين، دار نينوى، سورية، بلا.ط، ٢٠١١.
- سعيد، ادوارد: صور المثقف، ترجمة: غسان غصن، دار النهار، بيروت، بلا. ط، ١٩٩٤.
- سعيد، خالد: ادوارد سعيد ناقد الاستشراق قراءة في فكره وتراثه، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠١١.
- كشت، محمد الهادي: تمثيلات المثقف المقاوم: صورة المثقف في فكر ادوارد سعيد، حرمون للدراسات المعاصرة والجمعية السورية للعلوم الاجتماعية، عدد ٢٠٦.
- كعبش محمد: مفهوم المثقف وادواره عند ادوارد وسعيد، مجلة البدر، مجلد ٩، العدد ١٢، ٢٠١٧.
- كلفارون، ايف: ادوارد سعيد الانتفاضة الثقافية، ترجمة: محمد الجرطي، صفحات للدراسات والنشر، سورية، ط١، ٢٠١٧.
- مداح، وردة: الثقافة والهوية (قراءة نقدية لواقع الثقافة والمثقف من خلال التجربة النقدية عند ادوارد سعيد)، مجلة مقاليد، العدد ١٤، ٢٠١٨.
- مزعل، عدي حسن: الخطاب السياسي عند ادوارد سعيد، اشراف: فيصل غازي مجهول، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الفلسفة، ٢٠١٧.
- هارت، وليام: إدوارد سعيد والمؤثرات الدينية للثقافة، ترجمة: قصي انور الذبيان، ابو ظبي للثقافة والتراث، الامارات، ط ١، ٢٠١١.

هوامش البحث

(*) الفين غولدنر: عالم اجتماع امريكي واستاذ لعلم الاجتماع في جامعة واشنطن، ورئيس جمعية دراسة المشاكل الاجتماعية. https://m.marefa.org.

(*) نعوم تشومسكي: هو استاذ لسانيات وفيلسوف امريكي وناقد وناشط سياسي. https://ar.m.wikipedia.org

(*) اوسلو: هي مجموعة من التفاهمات بين حكومة اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، ساعية للوصول لمعاهدة سلام ولتحقيق (حق الفلسطينيين بتقرير المصير). بدأت عملية اوسلو بعد مفاوضات سرية في مدينة اوسلو، نتج عنها اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بدولة اسرائيل واعترف اسرائيل بمنظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطيني وكشريك في المفاوضات. Wikipedia.org